الفصل السابع

الفلسفات المعاصـــرة
(إفلاسها وحاجة البشرية إلى الإسلام)

إفلاسهـا :

رغم فشل الفلسفات المعاصرة فى علاج المشكلات التى تفاقمت من حول الإنسان المعاصر ؛ إلا أن المؤلف لم يشر إلى نقد أى منها . ولم يأخذ على أحدها أى نقد باستثناء نقد هزيل وجه إلى الماركسية مما سنفصله .

حاجة البشرية إلى الإسلام :

عندما نستعرض الفلسفات المعاصرة ، نلاحظ أن كل أقوال الفلاسفة نقضها فلاسفة آخرون أو نقضها الفيلسوف نفسه . ولم تسلم فلسفة واحدة من ذلك حتى يمكن أن نعول عليها فى إنقاذ البشرية الحائرة . ومن هنا نقول بحاجة البشرية للإسلام .

فالمسلم المعاصر رغم أنه يعيش حاليا فى مأزق لمحاولته المواءمة بين عقيدته الإسلامية وبين الأفكار الغربية المعاصرة والمنتشرة هنا وهناك ؛ إلا أن هذا المسلم أصبح يدرك بيقين أنه قد بدأ أفول نجم الحضارة الغربية . وأن الإسلام وحده هو الكفيل بإنقاذ البشرية وتحقيق تقدمها

وسعادتها، بدلا من تلك الفلسفات التى جربت ولم تثمر إلا واقع العالم الحالى الأليم ، والفشل الذريع، والتقهقر فى كافة الميادين . وذلك لأن هذا الدين تتوافر له كل عوامل البقاء : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

ولسنا وحدنا الذين نتنبأ بقرب أفول الحضارة الغربية فهذا هو توينبى مؤرخ الحضارات الإنسانية يقول : (إنه أثناء انحلال حضارة ما ترتقى الأساليب المادية أثناء ذلك الانحلال . وذلك لأن التحسن الفنى قد يمتص جميع الطاقات فيصبح المجتمع عبداً لهذا التحسن، بدلا من أن يكون سيداً له . ويظهر نتيجة لذلك الفراغ الروحى الذى هو أكبر الأخطار التى تهدد الحضارات دائما. وأزمة المجتمع الغربى هى فى جوهرها أزمة روحية وليست مادية . أى أنها نفس مشكلة الحضارات السابقة !!)[1] .

وليس الأمر قاصراً على التنبؤ بقرب أفول نجم الحضارة الغربية، بل ويبشر أيضا بمستقبل حضارتنا الإسلامية، حيث يقول مالك بن نبى (نرى أن سير التاريخ كأنما يستدرج العالم إلى فشل تجاربه العلمية والتكنولوجية من ناحية، ومن ناحية أخرى نمو العالم الإسلامى كما وكيفاً . كأنما الله يهيء القاعدة لتحقيق قوله تعالى : ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾ وكانت الآية نفسها قد تحدث عند تنزيلها الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية[2] .

وباختصار فإن الفراغ الروحى فى الغرب قد فتح الباب أمام عبادة وثن واحد اسمه الدولة بدلا من عبادة الله الواحد . كما أدى إلى استبدال أيديولوجيّات من من صنع المجتمع بالأديان ، لأن افتقار المرء إلى الدين يدفعه إلى حالة من اليأس الروحى تضطره إلى التماس فتات الفلسفات كبدائل للدين الصحيح، مثل فكرة « دين الإنسانية » لأوجست كونت والتى بدت عقيدة باهتة ممسوخة، ومن ثم لم تلق قبولا ، على أن عقول العالم قد فتنت بعد ذلك بأيديولوجيات أشد خطراً كالبرجماتية والماركسية والوجودية مما سنفصله فيما يلى :

أولا : الماركسيـــة

تعريفها : الوجود فى نظر الماركسية مادى . والإنسان مجرد مادة أى جسد أو فرد بدون حرية فكرية أو ترس فى آلة هى المجتمع .

والماركسية تجعل هدف الإنسان فى الحياة هو إشباع حاجاته المادية . وبذلك فهى تتصور أن الإنسان مجرد غرائز ودوافع ينطلق لإشباعها كالحيوان . وهو فى خضوع تام لما

---

(١) الإسلام والمذاهب الفلسفية د . مصطفى حلمى ص ٢٠١ .

(٢) نفسه ص ٢٠٢ .

يمليه عليه المجتمع وفق تخطيط مرسوم (رسمته أعلى سلطة فى البلاد وكانوا جميعا يهود) . ومن يخالفهم يستحق الإبعاد أو النفى فى السجون متهما بالخيانة أو العمالة،أو يلقى به فى مصحات الأمراض العقلية أو غيرها . وترجع خطورة الماركسيةإلى ما تثيره من إغراء كاذب للطبقات العاملة .

سوءات الماركسية :

١ – الماركسية تناظر اليهودية : ليس لأن المبشر بها كان يهوديا فقط ، أو أن المجلس السوفيتى الأعلى الأول كان كله يهوداً ولكن لأنها أحلت عبادة الشيوعية محل الإله ، وجعلت البروليتاريا مناظرة لشعب الله المختار ، والخارجون على البروليتاريا كالشعوب الأممية لدى اليهود . كما أنها تمنى الناس بنعيم الفردوس على الأرض بديلاً عن نعيم الجنات .

وفى هذا يقول توينبى (نشاهد أن الماركسية تتحول إلى بديل للدين وذلك بعد أن أحلت ماركس محل موسى عليه السلام ، ولينين مكان المسيح عليه السلام . وقيام مجموعة أعمالهما بدور الكتب المقدسة . كما أن جثمان لينين فى الميدان الأحمر بموسكو يعتبر محجاً لجميع الشيوعيين . ومن يزوره منهم ينحنى أمامه . ويقف بخشوع منتظراً فى صف طويل ليسمح له بمشاهدته وتحيته[٣] .

ألا يدل ذلك على أن اليهود أصحاب المذهب الماركسى يعرفون حاجة الإنسان إلى الدين ؟ وما مهاجمتهم لليهودية إلا لتبرير محاربة الأديان الأخرى .

٢ – نزعتها اللا إنسانية : واتسامها بالعنف والقسوة أثناء إبادتها للأقليات وأصحاب العقائد وبخاصة المسلمين فى جنوب الاتحاد السوفيتى (طشقند وسمرقند وغيرها) حيث قتل من أبنائه زهاء العشرة ملايين مسلماً [٤] .

٣ – الفكر الشيوعى فلسفة هزيلة : لا يمكنها البقاء أو الاستمرار إلا بمقدار ما تحميها القوة بدليل :

(أ) **مبدأ النقيض** فى الماركسية يجعلها تتوقع تحول المجتمع الرأسمالى إلى النقيض (أى الشيوعية) . ولكنها لا تتوقع تحول المجتمع الشيوعى إلى نقيضه،وبذلك هدم المبدأ نفسه .

(ب) **حجة الماركسية فى تقديس المادة** وعدم الاعتقاد فى الروح حجة ساذجة حيث أدعو بأن الفكر نتاج الدماغ . والدماغ مادة إذن تكون المادة أسبق من الفكر فى الوجود .

---

(٣) الإسلام والمذاهب الفلسفية للدكتور مصطفى حلمى ص ٢٠٣ .

(٤) نفسه ص ٢١٦ .

فيكون الأسبق والأقدم هو الإله . وهذه حجة فاسدة وزعم باطل بدليل أن الرؤيا الصالحة تعتبر فكراً وهى تسبق التحقق فى الواقع المادى المحسوس وغير ذلك من الأدلة .

(جـ) **اختفاء فكرة الحتمية من القانون العلمى** بعكس ما كان عليه الحال حينما أعلن ماركس تفسيره المادى . وقد كان أهم تطور علمى حدث فى القرن العشرين هو البحث فى تركيب الذرة وثبوت أنها مؤلفة من كهرباء (بروتونات والكترونات متحركة) . وبذلك أصبحت المادة نفسها نوعاً من أنواع الطاقة كالطاقة المغنطيسية والكهربائية والحرارية وغيرها . والطاقة هنا معناها المقدرة على إحداث الحركة . وهى تعتمد على تلك الثنائية التى ظهرت فى المادة حيث انحلت إلى ذرات تنطوى على طاقة ولم تعد جوهرا قائما بذاته كما كان يُعْتَقَد من قبل،وهذه الثنائية نجدها فى الإنسان أظهر . فالإنسان يتكون من مجموعة الوظائف الفسيولوجية المادية وأيضا الروح ، ومن ينكر ذلك فعليه أن يفسر لنا أين يذهب الإنسان فى لحظة النوم .

(هـ) **إنكار الماركسية لوجود ما هو غير مادى** موقف غير علمى . لأن عجز العلماء عن الإحاطة بما هو غير مادى ليس دليلا على عدم وجوده .

(و) **فشل علماؤهم فى تقديم دليل واحد على إمكانية الخلق الذاتى** . ومحاولتهم الإيهام بأن الصدفة هى التى أوجدت العالم ﴿ أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون ﴾ . ونقول لهم أيضا (أنرجع الخلق إلى الصدفة أم إلى خالق قادر حكيم مدبر تنطق المخلوقات كلها بصفاته لما فيها من دقة وتناسق ؟ أبالصدفة تلتئم الجروح وتخيط شفرانها بنفسها بدون جراح ؟ أبالصدفة تستدل الطيور والأسماك على أوطانها بعد آلاف الأميال وعبر الصحارى والبحار ؟ أبالصدفة يكسر الكتكوت البيضة عند أضعف نقطة منها ليخرج ..

والحقيقة أن العالم الذى نعيش فيه يدل على وجود النظام والانضباط والدقة . من أصغر ذرة فى الكون إلى أكبر فلك فيه . والصدفة عادة لا توصف بالدقة . إذن فالعبث ليس موجودا فى الكون ولكنه موجود فقط فى عقولنا وأحكامنا المنحرفة . إن الزعم بأن النظام فى الكون حدث صدفة كالزعم بأن انفجارا وقع فى مطبعة فأدى إلى أن تصطف الحروف على هيئة قوانين محكمة)[٦] .

٤ – **الصراع الطبقى ليس هو سبب الصراع بين الدول** . بدليل أن هناك صراعا بين الدول الشيوعية نفسها رغم ادعائها بأن مجتمعاتها ليست طبقية .

---

(٥) نفسه ص ٢١٩ .

(٦) الإسلام والمذاهب الفلسفية د . مصطفى حلمى ص ٢١٧ .

٥ – **الشيوعية تدعو إلى الدكتاتورية وخنق الحريات** . والفرد فيها لا يعمل ولا يأخذ ولا يعتنق إلا ما تسمح به الدولة . ويعيش بدون حوافز .

٦ – **تهاجم الماركسية الدين** والمتدينين وتنكر وجود الله والروح واليوم الآخر ... الخ ، ورغم أن الماركسية نظرية اقتصادية إلا أنها تورطت فى محاربة الدين . **ولم يكن ذلك نتيجة دراسة للأديان ، ولكن نتيجة الربط الخاطىء بين الدين ورجال الكنيسة فى العصور الوسطى** .

المؤلف يزين فلسفة هيجل رغم أنها من الضلالات الكبرى :

وموجز فلسفة هيجل أنه يرى أن التطور يحصل نتيجة ظهور الأضداد . ثم تناطح هذه الأضداد . ثم تمازجها فيما بينها .

كما يرى هيجل أن كل دور من أدوار التاريخ يعتبر وحدة . وأنه عندما يرتقى كل دور إلى أعلى مدارجه ينبثق من حضن هذا الدور نفسه عدوه . ثم ينشب الصراع العقائدى بينهما . وبعد أن يطول هذا الصراع يأتى العقل الكلى (أى الله) ليعقد بينهما صلحاً . وذلك بعد أن يقبل شيئاً من هذا وجانباً من ذاك ويكون منهما مزيجاً . وبعد أن يتقدم هذا الخليط ويرقى يخرج منه ضده وهكذا

كما يرى هيجل أن الحضارة فى كل عصر تكون بمثابة الجسد الواحد أو الكائن الحى . وأن الأفراد والطوائف ما هى إلا أجزاء لهذا الجسد . أى لا يمكن لأى فرد فيها أو طائفة أن تتحرر من الروح العامة لتلك الحضارة . وأنهم ليسوا إلا كقطع الشطرنج . ويزعم هيجل أن العقل الكلى (أى الله) يغرر بالأفراد ويوهمهم بأن لهم دور هام فى المسرحية . فى حين أنهم ليسوا إلا أدوات يستخدمها المطلق أو العقل الكلى لإكمال ذاته . وذات الله هى التى يعبر عنها هيجل بالعقل الكلى أو الروح العالمية . ويرى هيجل أن الله هو الذى يكدح ويكد لتنمية ذاته وارتقائها . وأن هذا الارتقاء يأخذ شكل ارتقاء الإنسانية . وأن الإنسان المسكين يستخدم كأداة لتنفيذ ذلك (حاشى لله) . وهذه النظرة ترسب فى العقل أن التعليم الذى يرجع أصله إلى النبى ﷺ وليد زمانه، وأن الحضارة الإنسانية قد اجتازته فى مراحل تالية .

وكلام هيجل يصح فى أن التطور قد ينتج عن الحرب بين الأضداد أولا . ثم التصالح بينها ثانيا . بحيث تبقى العناصر القديمة الصالحة . ويحل محل العناصر غير الصالحة عناصر أخرى صالحة . ولكن هناك كلام لا يصح عند هيجل مثل قوله بأن الله روح العالم . وأن الله يتخذ الإنسان أداة لاستكمال ذاته . وأن الإنسان ليس إلا ممثل لا شعور له ولا اختيار

ولا إرادة . وأنه تعالى هو الذى يطرح الأفكار المتعارضة بين الناس ويجعلهم يقتتلون أولا ثم يعقد بينهم الصلح وهكذا .

ماركس أسس مذهبه على فلسفة هيجل : فجاءت أشد ضلالا. لم يكن لماركس حظ فى عمق النظر وسعة الأفق ، فهو لم يحاول أصلاً أن يعرف أو يفهم فطرة الإنسان وحقيقة تكوينه، لذلك فهو ينظر إليه من جانبه الحيوانى فقط الذى تمسه الحاجة إلى أسباب المعيشة وحدها . ولا ينظر إلى جانبه الروحى الذى يختلف فى طبيعته عن الجانب الحيوانى . فما أضأل هذه الفكرة عن حقيقة الإنسان وما أبلد الأذهان التى ترتاح إليه وتقبله . ولو تأمل ماركس صفحات التاريخ بعين متفتحة لوجد أن كل ما هو ثمين وجدير بالاحترام فى عناصر المدنية الإنسانية إنما هو منحة من أولئك الذين جعلوا حيوانيتهم تتبع إنسانيتهم وروحانيتهم .

والحقيقة أن الحياة ليست إلا ساحة حرب بين الجانب الحيوانى والجانب الروحى، أو نوازع الشر ونوازع الخير فى الإنسان فنوازع الشر تدفع الإنسان إلى طرق معوجة مشحونة بالظلم والعدوان والفحشاء والمنكر . ثم تأتى نوازع الخير فتدفع نوازع الشر وتثور على حيوانيته . إلا أن الإنسان أثناء ثورته هذه قد يميل إلى طرق معوجة كالرهبانية واضطهاد النفس وحرمانها من حاجاتها الفطرية . أى أن قوتى الإفراط والتفريط من الطرق المعوجة . والفطرة تحن دائما إلى الصراط المستقيم أى سبيل الله . وتسأم الطرق المعوجة . غير أن الميول تحيد بالإنسان بعيداً عن الصراط المستقيم (الفطرى) . ولكن فى كل مرة نجد مرارة التجارب وقلق الفطرة يجبرانه على الرجوع إلى طريق الفطرة، ولكنه قد يعود ثانية إلى الجهة المعاكسة من الإفراط أو التفريط ثم يضطر إلى الرجوع إلى طريق الفطرة ، وهكذا . ونظرية هيجل وماركس عن الفعل ورد الفعل (أى النقيض) ما هى إلا تعبير عن الإفراط والتفريط . أما عملية المزج بين الفعل ونقيضه فتشبه الخط الوسط الذى يقف بين الإفراط والتفريط أى الصراط المستقيم أو سبيل الله .

كل هذه نقاط غفل المؤلف عن ذكرها أو التعليق بها .

ثانيا : البرجماتية

تنسب البرجماتية كفرع فلسفى إلى أصل شجرتها المسماة (بالوضعية) . والوضعية تنسب أصلا إلى أوجست كونت . ثم امتدت إلى انجلترا على يد هربرت سبنسر . ثم الولايات المتحدة الأمريكية على يد شارلس بيرس ووليم جيمس وجون ديوى .

والفرق بين الوضعية والبرجماتية : أن الوضعية ترفض التسليم بالحقائق المطلقة والقضايا الميتافيزيقية (الغيبية). أما البرجماتية فإنها تقبل هذه القضايا وتعتبرها صادقة، ولكن

(١) الإسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة لأبى الأعلى المودودى ص ٢٦ بتصرف .

بشرط أن تكون نافعة . فالفكرة عندهم صادقة عندما تكون مفيدة . ويلزم عن هذا التعريف أن تكون الحقيقة متغيرة فما كان حقا بالأمس قد لا يكون حقا اليوم . فالحق عندهم متعدد ونسبى . وهذا يؤدى إلى الفوضى المدمرة لكيان المجتمع . لأنها تجعل المجتمع غابة من الوحوش الضارية يأكل بعضها بعضا . إذ تتنافس على التفوق والغلبة والحصول على المنافع . ولا تتفق إرادتها على تحقيق أى قيمة من القيم الفاضلة الثابتة فى ذاتها كالحق والإيثار وغيرها .

نقـــد البرجماتية :

١ – ينظرون إلى القيم الثابتة كالحق والخير كما ينظرون إلى السلعة التى تطرح فى الأسواق، مما فتح الباب أمام المنافسة والصراع وتمجيد العنف . فالحق أو الخير معياره المنفعة المادية التى ستعود عليهم من ورائها وليس معياره القيمه فى ذاتها . ومعنى ذلك أنهم يساوون بين اللص الذى ينهب الثروات وينجح فى جمعها بأية وسيلة ، وبين التاجر الذى ينمى ثروته وفق مبادىء الشرف والصدق[٧] .

٢ – فى ظل هذه الفلسفة اندفع الأمريكيون إلى تكديس الثروات . وكان هذا هو المصير المحتوم لفلسفة تعظم المنفعة وتزدرى القيم الثابتة . وقد نتج عن ذلك مساوىء وأخطار أخلاقية، بالرغم من تقيدهم ببعض الفضائل كالانضباط والدقة فى المواعيد . فهى فضائل ليست مقصودة لذاتها بل لفائدتها فى تعاملهم . وباستثناء ذلك **انتشرت الانحرافات السلوكية** والإجرام وتمجيد العنف وشرب المسكرات كظاهرة هروبية من واقع العنف والمنافسة المريرة التى لا ترحم .

٣ – جعلوا الدين مجرد علاقة نفعية بين العبد وربه وبذلك أخضعت البرجماتية أعظم علاقة تربط بين العبد وربه إلى مجرد علاقة نفعية ، فأضاعت بذلك الإيمان الذى يهب الإنسان القدرة على مقاومة أعتى الصعاب . أما الإسلام الذى لم يشر إليه المؤلف فيجمع بين العقيدة والعمل . لأن العقل البشرى لا يمكنه الوقوف وحده بغير عون من الوحى . فالخير والنفع هو الذى يحدده الشرع . لأن الإنسان قد يحب شيئا وليس له فيه مصلحة ﴿وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم﴾ . وباختصار فالإسلام يرى أن النجاح والتنافس على فعل الخير مطلوب « لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » ولكن يجب أن يظل العمل مرتبطا بأوامر الشرع وآدابه[٨] .

---

(٧) الإسلام والمذاهب الفلسفية للدكتور مصطفى حلمى ص ٢٤٠ .

(٨) نفسه ص ٢٤٦ .

٤ – **حصر مطالب الإنسان فى النواحى المادية** . ورفض الجانب الروحى – مثل الماركسية – حيث تقصر وظيفة العقل على التفكير فى حل مشكلات الحياة المادية وحدها – صحيح أن التقدم الحضارى المادى هام ومطلوب.ولكنه وحده لا يكفى . فلابد من التقدم أيضا فى جانب الروح . فماذا لو تضخمت يد الإنسان جدا وأصبحت لها قوة جبارة وبقية الجسم كسيح . هذا الوضع يذهب فائدة التقدم . كما أنه اختلال بالنسبة لمجموع الإنسان وخصائصه،حيث ينتج عن هذا القلق والتمزق وضعف الإيمان بالله واليوم الآخر . ولا يبقى فى فكر الإنسان إلا هذه الحياة الدنيا . فينتهب لذائذها . ويصبح بلا ضوابط فيهبط إلى مستوى أدنى من الحيوان . لأن الحيوان يملك الضوابط الفطرية التى تقف به عند نقطة الهلاك. وقد وصف الله هذا الصنف من الناس بقوله : ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ .

٥ – **تدعى البرجماتية تبنيها لقيم الحرية والديمقراطية .والواقع يكذب ذلك** . فأمريكا تحمى التفرقة العنصرية بقوة القانون . وسياستها الخارجية تساند الحكام الطغاة ضد شعوبهم بحجة خدمة مصالحها .

٦ – الإسلام تفوق على كل من الشيوعية والرأسمالية فى علاجه لمشكلة الملكية الخاصة . حيث أنه لم يصادرها كما فعلت الشيوعية . كما أنه لم يترك لها الحبل على الغارب كما فعلت الرأسمالية . ولكنه حدد جزءا من مال الغنى يسمى الزكاة لكى يعطى للفقير . والزكاة غير الضرائب . لأن الضرائب نسبة على الدخل . وهى قليلة غير ثابتة . أما الزكاة فهى نسبة على رأس المال وهى أكثر ثباتا وأكبر حجما .

ثالثا : الوجودية

التعريف بها :

أسس الوجودية سورين كركجرد الدنمركى . وكانت تهدف فى بداتيها إلى إنصاف الفرد وتحريره من سيطرة الآلة منذ عصر النهضة الأوربية . وتحريره أيضا من طغيان الجماعة وبخاصة طغيان المذهب الشيوعى وسيطرته على الفرد . وقد تعددت الوجوديات كثيرا بعد ذلك . وغالبا ما ترتبط الوجودية فى أذهان المثقفين بسارتر .

وتقوم الوجودية على فكرة رئيسية مؤداها أن وجود الإنسان أسبق من ماهيته . أى أن الإنسان يوجد أولا ثم بعد ذلك هو الذى يخلق – فى زعمهم – الشكل الذى يجب أن يكون عليه .

وهذا الشكل يتحقق عند فريق منهم بالانطلاق فى الشهوات دون مبالاة بالعرف أو الدين . وهذا الفريق يمثله سارتر اليهودى الفرنسى . حيث يستبيح أبطال رواياته الإجرام أو الشذوذ أو التبذل أو الخيانة . وهذا التصور ناتج عن إلحاد سارتر وكفره . فهو ينكر الأقدار والأخلاق التى تسبق وجود الأفراد . كما يرى أن الإنسان مدعو فى كل لحظة إلى تغيير أخلاقه، دون التوقف عند مبادىء ثابتة، ويرى أن الواقع ليس فيه سوى الهموم والقلق والضيق والخوف . لشعور الفرد بأن الموت يحيط به من كل مكان ، كما ترى الوجودية أنه لا يمكن الخروج من هذه الحالة إلا عن طريق معرفة الفرد لنفسه فقط .

إنكارهم للبعث هو سبب نكبتهم : مما سبق يتضح أن علة القلق والخوف عند الوجودى سببها عدم الإيمان بالبعث ولا بالرب الغفور . والعلاج لا يكون بمعرفة الفرد لنفسه ولمشاعره فقط كما يدعى المؤلف ص ١١٠ . ولكن لابد أيضا من معرفته بالكون من حوله والقوانين التى تضبطه . على أن يبدأ بمعرفة الكون . لأن قوانينه ثابتة ولا مفر من الخضوع لها . فإذا ما عرف الإنسان هذه القوانين سيكتشف أنها هى نفسها أدلة وبراهين على وجود الله تعالى . وأنه لا مفر من الخضوع والعبودية له . وهنا يكون الفرد قد بدأ يعرف حقيقة نفسه ومهمته التى خلقه الله من أجلها . وحينئذ يمكنه أن يمارس حريته بصورة صحيحة . ترضى نفسه ورغباته من ناحية وتنسجم مع الكون وقوانينه من ناحية ثانية .

والوجودية المؤمنة لا تختلف عن الملحدة إلا فى القليل : حيث أنها تشترط ألا يمارس التدين إلا من خلال تجربته الصوفية الخاصة . أما بقية حياته فلا يخضع فيها إلا لما تمليه عليه رغباته وميوله . وهذا يعد تمردا على التاريخ والتراث الذى بناه الأنبياء والمصلحون، والوجودية الملحدة فى سبيل إثبات حرية الإنسان المطلقة تنكر وجود الله والبعث . وبذلك ترى أن الوجود مثير للفزع والقلق . وتصف الحياة بأنها مجرد شرك أو فخ وقع فيه الإنسان . وفى هذا يقول الفيلسوف الوجودى هيدجر (إن الذات الإنسانية تتجه نحو العدم .. وإن الحياة بهذه الصورة تكون مفزعة) أما الإسلام الذى غفل عنه المؤلف فيرى أن الموت ليس إلا مرحلة انتقال إلى الوجود الأبدى . فى رعاية رب غفور . مما يزرع الأمل المقترن بالعمل الصالح للفرد ولأمته وللإنسانية كلها .

مفاسد الوجوديـــة :

١ – تصورهم أن الوجود يسبق الماهية خطأ عقلا . لأننا نلمس بحواسنا أن « النوع الإنسانى » يوجد أولا . وأن وجوده هذا ليس فرضا من فروض التصور فى الأذهان، بل هو وجود حقيقى وصادق وتلمسه حواسنا كما تلمس الوجود البيولوجى (من اللحم والدم) .

٢ – الفيلسوف الوجودى لا يهتم بوصف المظاهر الخيرة والبهيجة فى الحياة . بل يصور فقط الجبان والفاسق والضعيف والمائع وصاحب الخلق المنحل . فكأنه ينظر دائما إلى الذين هم فضلات من جسم البشرية على أنهم هم الممثلون للبشرية، فأدى ذلك إلى التشاؤم والقلق والسخط والشك فى القيم . فى حين أن الأحاسيس البهيجة فى الحياة كثيرة كحنان الأم وتضحيات الأب ومحبة الأهل والأصدقاء وكابتسامة الطفل وإشراقة الشمس وضوء القمر . وغيرها مما لا يخلو منها إنسان قط، وإلا أصبحت الحياة غير محتملة ولأقبلت البشرية كلها على الانتحار .

ولذلك يقول الفيلسوف كارل ياسبرز إننا فى العصر الحاضر نحتاج إلى فلسفة (العقل والإيمان) لا الفلسفة (الوجودية أو الوضعية) . لأن الوجود العيانى الشخصى الذى يعتد به الوجوديون والوضعيون فوقه وجود آخر هو الله تعالى . أما الوجودى والوضعى فقد غرته نفسه وظن أنه الكائن الوحيد فى الوجود . ونسى خالقه عز وجل الذى خلقه فسواه فعدله . وهنا يقول ياسبرز إن الطريق الذى يسير فيه (الوجودى أو الوضعى أو الماركسى) طريق موغل فى الظلام إذ أعرضوا عن العقل وكفروا بالله، فضلوا ضلالا بعيدا فنضبت آمالهم واستبدت بهم الهواجس والهموم . وقال إن المخرج من هذا المأزق يكون فى الثقة بالعقل والإيمان بالغيب . ويشفق جارودى من تأثير هذه الفلسفات على الشباب فيقول فى حيرة (كيف أصف هؤلاء المفكرين؟ إنهم سفاحو الثقافة والفكر[٩] .

٣ – الوجودية توهمت أن التاريخ من صنع المشروعات الحرة والفردية فقط .

٤ – يسقط سارتر فى هاوية الإلحاد حينما يصور الإنسان بغير عون فى هذه الأرض . وأنه لا يجد من يهديه أو يحدد له معالم الطريق . ثم يدمر الفرد والمجتمع فا عندما يصف الأخلاق بأنها متغيرة حيث يقول (كل فرد هو عالم قائم بذاته يصنع لنفسه أخلاقه وعقائده . فيختار الإباحة إن شاء وهو المسئول عما يصيبه من جراء إباحته أو جراء نسكه وزهده) . وقد كان الغالب عليهم حياة الإباحة والفوضى والشذوذ . وفى هذا المعنى يقول هيدجر الفيلسوف الوجودى (إننا مهجورون . لا نلمح أمامنا أى هدف ننزع إليه ولا نرى فوقنا أية قوة عليا تعيننا على التحكم فى مصيرنا) . فانظر كيف وقف المؤلف صامتا أمام هذا الضلال . وتركه يسرى سما فى جسد الأمة. وكان الواجب عليه أن يطرح قضية الإيمان مبينا أن الإنسان فى حاجة إليه أكثر من حاجته إلى الطعام والشراب . فبالإيمان يعرف ذاته ويتمكن من تفسير الحياة ويعرف غاياته .

تحذير من العقاد : قال العقاد إنه من الشر دراسة المذاهب الفكرية الجديدة دون معرفة ما وراءها من تدبير مقصود بدليل أن سارتر يهودى ومعظم أيامه يقضيها مع اليهود وأننا لن

(٩) نفسه ص ٢٢٥ .

نفهم هذه المذاهب على حقيقتها إلا إذا فهمنا أن أصبعا من أصابع اليهود كانت وراء كل دعوة تستخف بالقيم والأخلاق . وترمى إلى هدم القواعد التى يقوم عليها المجتمع الإنسانى فى جميع الأزمان .

قيمة الإيمان : الإيمان بالله تعالى ورحمته هو الركيزة التى يستند إليها كل خير . فمن هدمها فقد هدم كل شيء وتصبح الحياة سأما والكون عدما كما يزعم سارتر وهدجر . ولذلك فإن المسلم يعرف جيدا الغاية من خلقه . ويعرف أن الله تعالى ابتلى العباد بالنعم كما ابتلاهم بالمصائب ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ . وفى هذا المعنى يقول رسول الله ﷺ : « عجبا لأمر المؤن إن أمره كله خير وليس لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن اصابته ضرا صبر فكان خيرا له » . رواه مسلم . فالإنسان إذن لم يخلق عبثا ، ولم يلق إلى الحياة بغير هدف كما يظن الوجوديون . بل إن الحكمة من الحياة الدنيا تتمثل فى الابتلاء أو الاختبار . لذلك يقول ابن القيم (إنه لولا إيماننا بالقضاء والقدر لقتلنا الحزن ، ولولا إيماننا برحمة الله لقتلنا اليأس ، ولولا إيماننا بانتصار المثل العليا لجرفنا التيار . ولولا إيماننا بقسمة الرزق لكنا من الجشعين،ولولا إيماننا بالمحاسبة عليه لكنا من البخلاء أو المسرفين . ولولا رؤيتنا آثار حكمته لكنا من المتحيرين) .

هذه هى الحكمة من خلق الإنسان وعلى ضوئها يسير المسلم فى خطوط محددة منضبطة بواسطة الشرع .

ملخص النقاط التى تخالف فيها الوجودية الإسلام :

١ – **الوجودية لا تؤمن بوجود الخالق** : وتؤمن فقط بالحياة الحسية للفرد (الطين) دون الحياة الروحية . وهذا مسخ للإنسان وتغليب لجانب من شخصيته على الجانب الآخر . مما ينتج عنه القلق والفزع الذى يعانى منه الوجودى .

٢ – **الوجودية لا تؤمن بوجود قيم ثابتة** . وترى أن الإنسان حر فى اختيار قيمه . مما أدى إلى وجود إباحية جنسية قذرة فى الغرب وبعيدة كل البعد عن قيم الحب والذوق والجمال والخير .

٣ – **الإسلام يرجح مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد دون إهدار لكرامة الفرد** . أى يشجع الإيثار الاجتماعى على عبادة الذات التى تؤدى إلى تصادم الرغبات والاضطراب .

٤ – **الإسلام يشجع على التفاؤل لقوله تعالى** : ﴿ إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ بعكس النظرة التشاؤمية للوجودية .

٥ – الوجودية كل إنسان فيها له أهدافه الخاصة . دون أن يكون له موجه من كتاب أو سنة لينير له دروب الحياة المظلمة . والوجودية بذلك تدعو إلى الكسل والخمول والكآبة والقلق والجبن والضعف والفسق والشذوذ . وغير ذلك من الصفات التى تؤدى إلى تقطع العلاقات التى بين البشر والتى بينهم وبين الله الخالق .. مما يؤدى إلى تحطيم المجتمعات لمصحلة اليهودية العالمية . وتأييد سارتر لإسرائيل يعتبر خير شاهد على وجود جذور يهودية فى الحركة الوجودية(١١) .

سارتر يعود إلى الدين ويعترف بهزيمته قبل موته : ولكن المؤلف يغيب ذلك . فقد طلب سارتر من سيمون ديبوافوار قبل موته أن تأتى له بقس . ورغم دهشتها الشديدة واستنكارها قالت : سآت لك بالكاردينال . فرد عليها بقوله : لا أريد كاردينالاً . إنه غشاش للإله ، وإنما أريد قساً متواضعاً من قرية متواضعة مغمورة . وجاء القس واعترف له سارتر بهزيمته(١٢)

فلماذا استعرض المؤلف كفريات سارتر بتفصيلاتها . ولم يشر إلى موضوع عودته إلى الدين واعترافه بهزميته وتخليه عن مبادئه أمام القس . وذلك لنحمى الشباب من تقليد حماقات سارتر السابقة على اعترافه .

وهكذا كانت موضوعات الكتاب جميعها معدة بطريقة تؤدى فى النهاية إلى محق عقيدة الأمة ومبادئها .

(١١) الوجودية د . محسن عبدالحميد ص ١٠ مكتبة القدس بيروت .

(١٢) كتاب د. رشدى فكار تأليف خميس البكرى ص ٦١ .